

الأسرة تحت أضواء الشريعة



◀ الإسلام يتبع سيره مع الأسرة فينظم كل حقوق كل من الزوجين من صاحبه يجعل العلاقة بينهما مودة ورحمة! بعد الهدوء والسكنية!

ثم إذا اشتد بناء الأسرة ونبتت في حقلها الذرية والأولاد شرع لها الحقوق والواجبات التي يجب أن تسود الوالدين والأبناء من الطاعة الكريمة وال التربية الصحيحة والتأديب والتعليم!

وتمضي العناية الإسلامية بالأولاد في مراحل الطفولة تحت سمع وبصر الفطرة التي فطر الله عليها الأبوة والأمومة من الحب الطبيعي. والحنان الأصيل العريق ومع ذلك فالإسلام لم ينس ولن ينس أبداً أن بعض الفطر الإنسانية قد تصدأ مرآتها في بعض الأحيان فهو لا يتركها - حينئذ - دون وصية بهذه الطفولة البريئة بل يلفت نظر الأبوين إلى عظم شأنهما في صياغة الصورة التي يجب أن تتشبّع عليها تلك الطفولة ويرغب في وضعها في الإطار اللائق بها فيقول النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة! وأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه! كما تنتج بهيمة جموعه هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدونها".

فإذا مرق الطفل من باب الطفولة وتجاوز سنها وعقل ما يمكن أن يعقل من أمر الحياة توجه التكليف الإسلامي إلى الوالدين أيضاً بلون آخر من الرعاية والعناء والتأديب غير ما توحى به طبيعة الأبوة والأمومة من الحب والحنان والعطف والرحمة:

قال (ص): "مُرُّوهم بالصلة لسبعين! واصرّ بوهم عليها لعشرين! وفرّقوا بينهم في المصالح!".

وهذا التكليف يقيم للأولاد حقاً جديداً على الوالدين فيصبح بالتالي لهما حقاً عليهم كذلك فإذا كان للوالدين حقاً الطاعة والإحسان فحق الأولاد في إحسان التربية والتعليم والإعداد للحياة!

روى الحافظ أبو نعيم أن النبي (ص) قال لمولاه أبي رافع:

"ما مالك يا أبو رافع؟" قال أبو رافع: أربعون ألفاً وهي عزوجل!

قال النبي (ص): "لا! أعطِر بعضاً وأمسك بعضاً وأصلح إلى ولدك"

قال أبو رافع: قلت: أولهم علينا يا رسول الله حقاً كما لنا عليهم؟ قال: "نعم.. حقاً الولد على الوالد: أن يعلمه كتاب الله عزوجل! والرمي! والسباحة! وأن يورثه طيباً!"

وفي حديث الترمذى:

"ما نحل والد ولده من نجدة أفضل من أدب حسن!"

ومن حق الأولاد على والديهم العدل بينهم وتربيتهم على الألفة والمحبة حتى يكونوا يداً واحدة! ولا سيما عند تعدد الأمهات فلا يفتح بينهم باب التنافس المادي الرخيص مما يولد في قلوبهم الأحقاد والأبغضان.. وسبيل ذلك.. ألا يفاضل بينهم في العطايا والهبات والميل. وقد نهى الإسلام عن ذلك ورأه جوراً وظلماً.

روى البخاري عن النعمان بن بشير أنسه قال:

أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة - أم النعمان - لا أرض حتى تشهد رسول الله (ص)... فأتي

بشير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له إِنَّمَا أُعْطِيَتِي أَبْنَى مِنْ عُمْرَةِ بَنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةَ فَأَمْرَتِنِي أَنْ أَشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أُعْطِيَتِي سَائِرَ وَلَدَكَ مِثْلَ هَذَا؟!" قَالَ: لَا! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا قَوَى إِنَّمَا وَاعْدَلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ وَلَا تُشْهِدُنِي إِذَاً فَإِنِّي لَا أَشْهِدُ عَلَى جُورٍ"!

والإسلام أبداً لم يغفل - في أمر تربية الأولاد - عوامل الزمن والبيئة والظروف بل يلتفت إلى ذلك كلاًّه تمام الالتفات فلا يلزم الوالدين أن يطبعاً أولادهما على عاداتهما وطبائعهما ليكونوا صورة طبق الأصل منها في كلّ شيء.. مadam هؤلاء الأولاد يتحرّكون في إطار التربية الإسلامية الصحيحة.

فقد ورد عن الرسول:

"أَدْرِبُوا أَوْلَادَكُمْ بِغَيْرِ أَدْبَكِمْ! فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ".

المصدر: كتاب الثورة الاجتماعية في الإسلام